

حضور أحمد بن الأمين الشنقيطي في الحركة اللغوية والأدبية في مصر

د. يحيى بن أحمد معلوم
كلية الآداب - جامعة نواكشوط

حياته:

1- هو أحمد بن الأمين بن محمد الأمين الشنقيطي يرتفع نسبه إلى علي بن أبي طالب، وأمه خديجة بنت سالم من قبيلة الأقلال التي ينتهي نسبها إلى أبي بكر الصديق⁽¹⁾.

فقد ولد ابن الأمين في الثمانينات من القرن الثالث عشر الهجري، ولم يتمكن من تحديد مؤكد لسنة ميلاده لأن ما ذكره فؤاد السعيد من أنه ولد عام 1989م هو استنتاج فقط من أنه توفي سنة 1331هـ عن عمر يناهز 42 عاماً⁽²⁾.

غير أن د. محمد المختار بن اباه يعتقد أن ابن الأمين قد توفي عن عمر يناهز الخمسين عاماً لأنه قد أدرك أحد لدات ابن الأمين المولود سنة 1280هـ⁽³⁾.

وعلى كل حال فقد ولد ابن الأمين ونشأ في المنطقة الغربية (الكيلا) من موريتانيا، وعلى وجه التحديد في إمارة الترارة، كما قد توفي في القاهرة سنة 1331هـ / 1913م⁽⁴⁾.

(1) سيدى عبد الله بن الحاج ابراهيم: صحيحة النقل (مخطوط بحوزتى).

(2) انظر مقدمة كتاب الوسيط (الطبعة الثانية).

(3) انظر مقدمة كتاب الوسيط (الطبعة الرابعة).

(4) عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين. ج 1 / 171. وفؤاد سركيس: معجم المطبوعات العربية، ص: 1148- 119، والزركلى: خير الدين: الاعلام، ج 1 / 101.

أما عن دراسته فقد أخذ بدرجات متفاوتة عن جملة من المشايخ المشهورين⁽¹⁾ مثل:

1- مأمون بن محمد الأمين (عمه) .

2- محمد سالم بن الأمين (أخوه) .

3- المختار بن الما .

4- يحظيه بن عبد الودود .

5- محمد فال بن باب .

6- الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل .

غير أن المصادر لم تتحفظنا بمعلومات تذكر عن الفترات التي أقامها في طلب العلم ولا عن ما درسه على كل شيخ من المشايخ الذين أخذ عنهم .

لكن آثاره العلمية ومصادره فيها تدل على أنه كان متخصصا في العلوم اللغوية والأدبية . كما تدل هذه المصادر على أنه كان مشاركا، بل عميقا في مجال العلوم الشرعية⁽²⁾ .

ومما لاشك فيه أيضا أن اتصاله وإقامته في المشرق قد وسعت ثقافته وعمقتها . بعد أن تأسست هذه الثقافة على قاعدة معرفية متنوعة في موريتانيا .

2- رحلاته العلمية :

استهل ابن الأمين رحلاته العلمية بولاية تكانت - بموريتانيا، ثم شد الرحال إلى المغرب، فاتصل باهم عواصمه العلمية، كفاس ومكناس بعد أن مر على الشيخ ماء العينين في مدينة السمارة⁽³⁾ وقد خرج ابن الأمين من موريتانيا متوجها إلى

(1) يحيى بن أحمد معلوم: ابن الأمين الشنقيطي وأثره في الدراسات اللغوية والنحوية والأدبية رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الفاتح 84 / 1985م، ص: 53 . (مرفومة) .

(2) انظر ابن الأمين الشنقيطي وأثره في الدراسات اللغوية (رسالتنا للمجستير)، ص: 46 - 48 .

(3) أحمد بن الأمين: الوسيط (المقدمة)، ص: 4 .

المغرب (عبر الشمال الموريتاني) في سنة 1315هـ / 1897م ويبدو أنه أقام في المغرب أكثر من سنة لأنه وصل إلى الحجاز وأدى فريضة الحج سنة 1317هـ .

ونعتقد أن أداء فريضة الحج لم يكن إلا سببا مباشرا لهذه الرحلة وينضاف إليه اهتمامه الشديد بالتحصيل العلمي والترحال في سبيله .

وقد التقى ابن الأمين بمجموعة من علماء الحرمين الشريفين أثناء إقامته بالحجاز ووقعت بينه وأحمد البرزنجي (ت1319هـ) خلافات حادة أثناء الفترة التي أقامها بالمدينة المنورة . وأساس هذا الخلاف أن البرزنجي كان يغلط مالكا في الموطأ: (في كتاب الإيمان والنذور في العبارة التالية: «وعليه هدى بدنه أو بقرة أو شاة إن لم يجد إلا هي..»). وكان البرزنجي قد كتب رسالة سماها: «إصابة الدواهي في اعراب الاهي - ط، يغلط فيها مالكا، وفي رد ابن الأمين على البرزنجي لخص ما نقله أبو حيان في شرح التهيل من أن العرب شاع في أسلوبها إنابة الضمير عن ضمير وبذلك يكون التقدير في تلك الجملة (إن لم يجد إلا إياها بدل الاهي)⁽¹⁾ .

ويجدر أن نلاحظ هنا أن ابن التلاميذ الشنقيطي قد رد أيضا على البرزنجي في هذه المسألة قبل حضور ابن الأمين إلى المشرق⁽²⁾ .

ثم خرج ابن الأمين من الحجاز - بعد أن أدى فريضة الحج - متوجها إلى المواطن الإسلامية من الاتحاد السوفيتي - سابقا) فألف كتابه: «طهارة العرب»⁽³⁾ . أثناء إقامته بقازان في تلك الرحلة ونشره سنة 1326هـ . وكان السبب المباشر لتأليف هذا الكتاب هو الرد على صاحب كتاب «الأمومة عند العرب» الذي هو

(1) انظر الوسيط . (المقدمة) .

(2) انظر الرحلة العلمية الشنقيطية لأبن التلاميذ .

(3) أشرفت على تحقيقه في كلية الآداب بجامعة نواكشوط من طرف محمد بن محمد بن عبد الله .

لأحد دعاة المسيحية. ويهدف مضمون الكتاب إلى الطعن في نسب النبي (ﷺ) خاصة من خلال طعنه في انساب العرب بعامة⁽¹⁾.

وقد مر صاحبنا وهو عائد من المناطق السفيتية على تركيا فزار معظم المكتبات والمعاهد العلمية بالاسقانة والاناصول وازمير، وغادر مدن تركيا متوجها إلى سوريا سنة 1319هـ فاستقر بها فترة لم تطل رغم أنه اجتمع بعلمائها وزار مكنتباتها، ولم يدخل القاهرة إلا فى سنة 1320هـ قادمًا إليها من المناطق السفيتية وتركيا وسوريا. وقد طبع كتابه «الدرر اللوامع» فى القاهرة سنة 1320هـ واستقر بها من ذلك التاريخ.

3- نشاطه العلمى بمصر:

وفى الفترة التى قضاها بمصر كان شديد الاتصال بالاوساط العلمية فيها عاكفا على الدرس والتأليف والتحقيق مستفيدا من مكنتباتها وظرائنها العلمية كما كان شديد الاتصال بعلمائها الأفاضل مثل توفيق البكرى وأحمد تيمور باشا والسيد أمين الخانجى، وقد وفر له هذا الأخير كل وسائل الراحة التى تماعده على الاعتكاف لتأليف الكتب وتحقيقها، كما أنه طبع له كل مؤلفاته العلمية وشروحه المفيدة⁽²⁾ وقد كتب ابن الأمين فى فترة إقامته بمصر معظم كتبه القيمة، كما حقق مجموعة هامة من عيون الشعر العربى ويمثل الجدول التالى أهم كتبه:

- 1- الدرر اللوامع على همع اللوامع، طبع القاهرة 1320هـ.
- 2- الدرر فى منع عمر طبع بالقاهرة 1321هـ.
- 3- شرح أمالى الزجاجى طبع بمصر 1324هـ.
- 4- شرح صهاريج اللؤلؤ طبع بمصر 1324هـ.
- 5- طهارة العرب طبع بقازان 132هـ.

(1) انظر كتاب طهارة العرب لابن الأمين، تحقيق محمد بن محمد عبد الله، السنة الجامعية 96-97، ص: 18.

(2) انظر مقدمة الوسيط.

- 6- شرح ديوان طرفة بن العبد البكري طبع بقازان 1327هـ.
 - 7- شرح ديوان الشماخ بن ضرار طبع بمصر 1327هـ.
 - 8- شرح كتاب ليس فى كلام العرب لابن خالوية طبع بمصر 1327هـ.
 - 9- شرح المعلقات العشر وأخبار قائلها طبع بمصر 1329هـ.
 - 10- الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط طبع بمصر 1329هـ.
 - 11- الاعلان بمثلث الكلام لأبن مالك طبع بمصر 1329هـ.
 - 12- تحفة المودود فى المقصور والممدود طبع بمصر 1329هـ.
 - 13- درء النبهانى عن حرم سيدى أحمد التجانى طبع بمصر 1330هـ.
 - 14- تصحيح كتاب الأغانى لابن الفرج الاصفهانى طبعة ساسى.
- 3- معالم منهجه فى الدراسات اللغوية والأدبية:

يتسم الطابع العالم لمنهج ابن الأمين النحوى بالتقليد لآراء ومناهج من سبقوه، ورغم أنه كان يستخدم القياس النحوى على نطاق أوسع فقد حرص بالدوام على أن يحشد الآراء من مختلف المذاهب النحوية ويترك كثيرا منها دون ترجيح ما يعتقد أنه أصح أو أرجح فى حين أنه فى بعض الأحيان كان يبدي آراءه ويعقب على المسائل التى يعرض لها، بل ويدافع عما يعتقد أنه صحيح ويرفض ما يرى أنه ضعيف كذلك.

ولم يكن استخدام القياس عنده مقصورا على دراسة الظواهر اللغوية وشيوعها وجمع النصوص واستقراء مادتها، بل تجاوز ذلك إلى توظيف القياس لدى أهل المنطقة وأصول الفقه فى الدراسة النحوية، وهو العملية التى يتم بها إلحاق بعض الظواهر أو النصوص اللغوية ببعض، وذلك مثل ما ذكره فى معرض رده على ابن التلاميذ القائل بصرف عمر: «أما قول هذا الشيخ أنه (عمر) جاء مصروفا فى كلام العرب واستشهاده بمثل قول الشاعر:

يا أيها الزارى على عمر قد قلت فيه غير ما لم تعلم

مما لا يصح به الاستدلال مطلقا وذلك لوجوه من أهمها: أن احتمال

الصرف للضرورة هنا يساوى احتمال عدم الصرف للضرورة فيما ذكرناه، ثم يتطرق صاحبنا إلى جملة من المقولات القياسية مثل قوله: «الدليل متى تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال، وقوله أيضا «إن الصرف هو الاصل والمنع قيد» (1).

وفيما يلي بعض المقولات العامة عند النحاة والتي استخدمها ابن الأمين في مؤلفاته وبنى عليها آراءه وحججه.

- «مالا يفتقر إلى تقدير أولى مما يفتقر إلى تقدير».

- «ليس كل ما سمع عن العرب يقاس عليه».

- «إن المعتبر في السماع عن النحويين هو النثر لأن النظم هو محل الضرورة عندهم» (2).

- «إن اجماع النحاة على الأمور اللغوية لا يجوز خرقه» (3).

- «إن النحو قد استقر فلا يحدث فيه شيء» (4).

- «القياس لا يصار إليه مع وجود السماع».

- «الطارئ يزيل حكم الثابت» (5).

- «ما يقدم في العلة لا يقدم في المعلول» (6).

- «إن في النحو مواضع يغلب استعمال القياس فيها وأن فيه اصولا به القياس مرفوضة ويجوز للشاعر الرجوع إليها» (7).

(1) أحمد ابن الأمين: الدرر في منع عمر، ص: 5.

(2) أحمد ابن الأمين: الدرر في منع عمر، ص: 5.

(3) المصدر نفسه، ص: 5.

(4) المصدر نفسه، ص: 5.

(5) المصدر نفسه، ص: 6.

(6) الدرر في منع عمر، ص: 6.

(7) الدرر في منع عمر، ص: 9 - 10.

- «عدم العلة علم العدم»⁽¹⁾، ومثل كيت وذيت من المبنيات لأن عربيها عن سبب الاعراب كان سببا في البناء.

- «الفروع تنحط عن الأصول ولا تساويها»⁽²⁾.

- «ان اللغة نقلية لاقياسية، واللغة لا تثبت بالقياس»⁽³⁾.

4- شهادات وترجمات للشنقيطي:

يقول عنه الزركلي: «أحمد بن الأمين الشنقيطي عالم بالأدب من أهل شنقيط ونزل بالقاهرة وتوفى بها...»⁽⁴⁾ كما أشار مدير المخطوطات بدار الكتب المصرية (فؤاد سيد) إلى أن ابن الأمين بتأليفه كتاب الوسيط قدم لنا مجموعة مهمة من الشعراء الموريتانيين وآدابهم... وقد ساعد المؤلف على ذلك حافظته الواعية العجيبة ومعرفته الواسعة بأخبار بلاده وتاريخها وتنقلاته الكثيرة بين ربوعها ولقائه الشخصي لأكثر هؤلاء العلماء الذين ترجم لهم وروى عنهم أشعارهم، ويقول: «إنه كان على فهم تام ومعرفة كبيرة بالعلوم الأصلية والفقهية كما كان له دراية بالتعاليم الصوفية، هذا فضلا عن علوكعبه في علوم العربية وآدابها كما يظهر ذلك جليا من الجهد العلمي واللغوي في شرح وتحقيق الكتب التي تولى نشرها من عيون الشعر والأدب العربي ودواوين فحول الشعراء وأصول اللغة...»⁽⁵⁾.

ويقول عنه محمد يوسف مقلد: «إن هذا الشنقيطي العظيم في الوسيط وغيره فضل لا ينكره إلا كل جاحد أو مكابر، فلقد كان التدوين في عصره مقصورا على النسخ والاستنساخ من خط إلى خط ومن حافظه إلى حافظه، الأمر الذي يستوجب

(1) الغرر، ص: 4.

(2) الدرر، ص: 5.

(3) الغرر، ص: 6.

(4) خير الدين الزركلي: الاعلام ج1 / 101.

(5) انظر مقدمة الوسيط لفؤاد سيد (الطبعة الثانية).

تعدد الرواة والرواة ليسوا كلهم سواسية فى المستوى والفهم والذوق فلو لم يحفظ لنا الوسيط هذا القدر اليسير من الشعر الموريتانى لظل كمية مهمة مهملة يفتك بها النسيان والتشتت كما فتك بكثير من القيم الأدبية والعلمية سواها،(1).

ومما لاشك فيه أن صاحبنا (ابن الأمين) كان عالما شامخا فى مجال اللغة والادب، وتشهد الدراسات التى خلفها بذلك(2).

(1) محمد يوسف مقلد: شعراء موريتانيا، ص: 402 - 403.

(2) إذا أردت التوسع انظر بحثنا المعنون بـ «ابن الأمين الشنقيطى وأثره فى الدراسات اللغوية والأدبية، تحت النشر» .